بحوث في اللغة العربية وآدابها : نصف سنوية لقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة إصفهان
العدد ٣ (خريف وشتاء ١٤٣١ ـ ١٤٣٢ هـ. ق/ ١٣٨٩هـ. ش)، ص ٩٩ ـ ١١٦

المحبّة والحبّ من المنظور الجبرانيّ[١]

صادق فتحي دهكردي*

الملخص

إن المحبّة في رأي جبران هي شريعة الحياة، وأساس كل شيء في العالم. وهي الحياة كلها، ومظهر من مظاهر الله، و نور ناتج من نور. والمحبة الحقيقية هي المحبة غير المتناهية وليست المحدودة. ولا يمكن للإنسان أن يتعلمها، بل يلزم أن تجيش في قلبه. وكذلك يجب اتباع المحبة والخضوع أمام أحكامها. ويلزم أيضاً أن يتجدد الحب بين المتحابّين كل يوم حتى لا يصطبغ بصبغة القِدَم. وكل هذا يؤدّي دائماً إلى انتصار المحبة على أعدائها. وهناك ملازمة بين الحب والجمال، ولايوجد في العالم دين أو جمال أفضل من المحبة. فيرى جبران أيضاً أن خلق العالم كان على أساس الحب، والمحبة هي التي يمكّن الإنسان من أن يدرك الحقيقة الموجودة في العالم، وهي الله.

للمحبة في رؤية جبران أشكال مختلفة ومظاهرعدّة: حب الحياة وكل العالم والوجود، حب الإنسانية والناس، حب الطبيعة وحياة الفطرة، حب الوطن، والحب بين المتحابّين.

تستهدف هذه المقالة إلى دراسة وتبيين وجهات نظر جبران إزاء الحب وأنواعه من خلال آثاره.

المفردات الرئيسية: جبران، المحبة، الحياة ،الإنسان، الله

المقدمة

جبران خليل جبران الكاتب والشاعر الشهير من مواليد عام ١٨٨٣ م في قرية بشري بلبنان. كانت أسرته تعاني من الفقر والعوز، وأبوه يهمّه مجالس الشرب والقهوة أكثر مما يهمه أسرته. وكانت أمه ـ وهي بنت أحد الكهنة ـ ذات كمال وتقوى، وقفت نفسها على أولادها الأربعة، مما دفعها إلى أن تتّجه مع الأولاد إلى مدينة بوسطن الأمريكية، في حين كان جبران في الثانية عشرة من عمره.

فاجأت المصائبُ جبرانَ في عامين متواليين ـ أي ١٩٠٢ و١٩٠٣ م ـ بموت أخته الصغرى، وأمّه الحنون، وأخيه الأكبر، مما سبّب في أن يتكوّن في نفسه عمق من الحزن والكآبة، ورافقته هذه النفسية سنين طويلة، إلى أن تعرّفت ماري هاسكل على عبقريته، فأرسلته على نفقتها إلى باريس لمتابعة دروسه الفنّيّة عام ١٩٠٨ م. وهناك تتلمذ للرّسّام الفرنسي والنّحّات الشهير «رودان»، ثم تعرّف على

١ـ تاريخ التسلم: ١٣٨٨/٢/٢٩هـ. ش (٢٠٠٩/٥/١٩م)؛ تاريخ القبول: ١٣٨٩/٣/١٧هـ. ش (٢٠١٠/٦/٧م).

* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة كردستان.

الشاعر والرسام الانجليزي «وليم بلاك»[١]، وقد أثّر فيه تعلّقه الشديد بعالم الروح، وميله الشديد إلى التأمل والتفكر. وأُعجب جبران شديداً بحياته العائلية الهادئة، وكان جبران يتمنى لو كانت له مثل هذه الحياة المثالية.

وبعد رجوعه إلى بوسطن، سافر إلى نيويورك عام ١٩١٢، وسكن في بيت متواضع في حي قديم يقطنه أصحاب الفن، وقد أطلق أصدقاؤه اسم «الصومعة» على هذا البيت. عندئذ بدأ جبران مرحلة جديدة من حياته؛ حيث كانت مرحلة التأمل والتفكر والفلسفة، ولاسيما بعد ما تعرّف على «نيتشه» وكتابه «هكذا تكلم زرادشت»؛ حيث أثّر عميقاً في رؤيته تجاه الحياة (الفاخوري، ١٩٨٦م، ص ٢٢٠). وفي عام ١٩٢٠م تأسّست «الرابطة القلمية» في المهجر الشماليّ، وعُيّن جبران زعيماً لها بانتخاب الأعضاء بالإجماع، وبدأ جبران يشعر بالمجد والعظمة اللّذَين كان يحلم بهما منذ طفولته. كان لجبران عدد من المؤلفات أهمها هو الذي جعله يشتهر، ورفعه إلى أسمى درجات الكتّاب والمؤلفين، ألا وهو كتاب *النبي* الذي أصدره بالإنجليزية عام ١٩٢٣م.

توفي جبران في مستشفى «القديس فنسنت» بنيويورك. فدفن جثمانه في بوسطن، ثم نقل رفاته إلى بيروت في السنة نفسها؛ حيث أقيم له استقبال كبير، ثم نقل إلى مسقط رأسه بشري، فدفن في دير مار سركيس التي كان يتمنى جبران لو دخلها حيّاً (سراج، ١٩٦٤م، ص ٣٠٣).

حياته التأمّليّة في نظرة عابرة

لفت جبران انتباه الجميع بتأليف عدد من الكتب الأدبية، وبعرض أدب رائع وتعابير جميلة، وكذلك المعاني السامية العالية والغامضة. كانت حياته مشتملة على فترات مختلفة ومراحل عدة، جعلت منه شخصية متفاوتة في كل مرحلة. فاجتازت حياته مرحلة «المشاعر والأحاسيس» التي اعتمدت غالباً على الحزن والأسى، والحب والمحبة، إلى مرحلة «التمرد والثورة» على الأوضاع السائدة في المجتمعات الشرقية. وانتهت إلى مرحلة «الحكمة والتأمل»، وخلق *النبي* الذي بحجمه القليل ينطوي على كثير من المعاني والمفاهيم فيما يتعلق بالإنسان وحياته.

كانت لجبران منطلقات خاصة في مجالات مختلفة بما فيها الدين والشرائع السماوية، الإنسان والإنسانية، الحياة المثالية والموت، الأبدية والخلود، الحب والمحبة، إلى غيرذلك من المواضيع والمفاهيم المتعلقة بالإنسان.

نشاهد في آثاره أسلوباً ذا صياغة فلسفية تبين اطلاعه على كتب ذات طابع فلسفي، ولكن هذا لا يعني أنه دخل جامعة خاصة ودرس على يد فلاسفة كبار، بل أخذ جبران ثقافته وفلسفته من هنا وهناك، و «**أن نتاجه تعبير عن حياة تنمو وتتطور، وليس تعبيراً عن فلسفة ذات نظام متكامل ومنضبط وعقلاني**» (أبي فاضل، ١٩٩٢م، ص ٥٤٤)، اللهم إلا أن نستثني تلك الفترة التي درس في «معهد الحكمة» ببيروت على يد أستاذه يوسف الحداد عندما رجع إلى وطنه بعد سنتين من ذهابه إلى أميركا، حيث كان في الرابعة عشرة من عمره.

وفي هذه السنوات تعرّف على *كليلة ودمنة* و*الأغاني* و*مقدمة* ابن خلدون و*رسائل* بديع الزمان والمتنبي والبهاء زهير و*نهج البلاغة* والتوراة. وكان أيضاً للحدّاد دور هام في توجيهه نحو التأمل الروحي والتثقف الديني، حيث كان الحداد نفسه ينتقل بنظره من الأرض إلى الفلك الأعلى، ورأى أن أنفع كتاب بعد كتاب الله هو الطبيعة (المصدر نفسه، ص ٥٤١).

---

١. William Blac

و هكذا لبث جبران أربعة أعوام يدرس في بيروت استطاع فيها أن يتعمّق في مظاهر الجمال في لبنان، وأن يتذوّق ويرى بعينه ما يجري في بلاده من ظلم اجتماعي واستبداد إقطاعي (الفاخوري، ١٩٨٦م، ص ٢٢٠).

وكانت الجمعية التيوصوفية قد تشكلّت في أميركا منذ سنوات، عندما عاد جبران إليها، ويميل المناخ الروحي هناك إلى التنوع والتعقيد والخروج على التقاليد المسيحية. وبما أن جبران لم يكن يطيق هذه التقاليد والطقوس، فلذا نزع إلى التيوصوفية (أبي فاضل، ١٩٩٢م، ص ٥٣٩)؛ لأنه وجد فيها غذاء لنزعته الصوفية، ودعماً لرسالته الإصلاحية، ومنطلقاً لعمله الاجتماعي.

وتدّعي التيوصوفية أن معرفة الله تتحقق عن طريق معرفة الذات، وبواسطة الوحي الذاتي؛ فتسمو بذلك الروحُ الإنسانية سموّاً تتحد في نهايته بالله، فترفض التقاليد والأنظمة التي توارثتها الأجيال، ولا فرق عندها بين الأديان. فالتيوصوفية تلتفت إلى قلب الإنسان تُخليه بالمحبّة من كلّ ما يحول دون نموّ التعاليم الإلهية، وتجعله بصفاء المحبة مصدراً للإلهام والإشعاع الإشراقي (الفاخوري، ١٩٨٦م، ص ٢٣٨).

يشبه هذا الإشراق والإلهام ما نجده في العرفان الإسلامي؛ إذ إن العرفان مذهب فكري فلسفي متعال وعميق للتعرّف على الحق وحقائق الأمور ومشاكل العلوم ورموزها، ويتحقق هذا عن طريق المكاشفة والشهود والإشراق القلبي (سجّادي، ١٣٧٢هـ.ش، ص ٨)، بينما لا ندّعي أن جبران أو التيوصوفيون كانوا عرفاء بالمعنى الإسلامي؛ إذ إن العارف المسلم يزكّي نفسه، ويطهّر باطنه، ويواظب على الأحكام والشرائع الدينية، ويتأمل ويفكر في حقائق الكون والوجود، ويستعين بالله في كل هذا؛ وكما يقول ابن سينا: «**يتصرف العارف بفكره إلى قدس الجبروت مستديماً بشروق نور الحق في سرّه**» (المصدر نفسه).

فواصل جبران حياته التأملية في بوسطن بمطالعة كتب ذات طابع ديني وفلسفي وأسطوري، مما أهدتها إليه ماري هاسكل، أو ما كانت طموحاته الفنية والروحية تفرض عليه مطالعتها. فقرأ كتاب *المنجد الكلاسيكي* لجون لامبريير، حيث هتف بعد قرائته: «**لم أعد كاثوليكياً، إنني وثنيّ**». ثم قرأ *كنز المتواضعين* لموريس مترلنك، وكتاب *المزامير وأناشيد الأرض*. فالكتب ذات الطابع الأسطوري قد أثرت فيه تأثيراً شديداً حيث جعلته يميل إلى رموز ماقبل المسيحية، وإلى التعمق والتأمل في المفاهيم الإنسانية والكونية (أبي فاضل، ١٩٩٢م، ص ٥٣٩). ثم تعرّف جبران على نيتشه و فلسفته وكتابه *هكذا تكلم زرادشت*. فأثار في قلبه موجة جديدة من الطغيان والعاصفة مما استمرت سنوات إلى أن هدأت العاصفة الجبرانية بظهور كتاب *النبي*. فدعا جبران الناس إلى الله برفض التقاليد واعتناق مذهب المحبة والتعالي فوق الأديان.

وهكذا كانت حياة جبران حافلة بالحزن والأسى مما ساقه إلى التأمل والتفكر، ومليئة بالحب والمحبة مما ساقه إلى العصيان والطغيان على شرائع الكهّان وتقاليدهم. فنرى أن الدّين في رؤيته ليس إلا صلة حرّة بين الإنسان وبين الله دون أن يحتاج إلى الشرائع والتقاليد الخاصة، وكذلك الإنسان مخلوق سماوي جُبل على فطرة إلهية يحاول لتحقيق صبغته الإلهية التي اصطبغ بها. فعليه أن يتعالى ويتكامل إلى أن يصل إلى الله الذي هو الحقيقة الوحيدة في العالم والكون.

و زبدة الكلام في المنظور الجبراني أن الله تعالى خلق العالم على المحبة، والمحبة هي الجسر الوحيد للتعالي والوصول إليه.

خلفية البحث وفرضيته

رغم أن جبران يعدّ من كبار الأدباء العرب الذين شغل الناس بأدبهم، ورغم أن المحبة هي جزء رئيسي من فكر جبران وأدبه، وتمثل ديناً خاصاً له، لكننا قلّما نجد في داخل البلاد بحثاً مستقلاً يتطرّق إلى جبران من هذه الرؤية، ويبين وجهات نظره إزاء الحب،

ويحلّل التعبيرات التي يعبّر بها عنه. وقدر ما فتّشنا في أعداد كثيرة من المجلات المحكّمة لكل من جامعة طهران، وشهيد بهشتي، وتربيت معلم، وإصفهان، وجامعة فردوسي بمشهد المقدسة، وكذلك جامعة تربيت مدرس، وجدنا أن كل ما هو المكتوب عن جبران يستطرد إلى فلسفته وفكره وأدبه إلا مقالة فارسية طبعت في *مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها* باسم "**گفتمان** عرفان در آثار جبران " للدكتور علي سليمي ومحمود شهبازي مأخوذة من أطروحة الماجستير بالفارسي المسماة *تأملات ديني جبران*، و التي تطرّق المؤلفان فيها إلى المحبة في صفحة ونصف صفحة. وكذلك كتاب *عرفان در انديشه جبران* لسوسن فروتن شيرازي التي استطردت فيه إلى مصادر معرفة جبران، وتحدثت فيه أيضاً عن الحب باختصار.

تستهدف هذه المقالة إلى تبيين ودراسة وجهات نظر جبران تجاه المحبة، ودورها الرئيسي في الحياة الإنسانية؛ وذلك من خلال آثاره معتمداً على هذه الفرضية: إن المحبة من الرؤية الجبرانية هي أساس كل شيء في العالم، وبدونها لا يتحقق مفهوم الإنسانية والحياة.

١ـ المحبة وميزاتها

هناك خلاف بين الأدباء في أنه ما هو واجب الفن والأدب؟ أيجب على الأدب أن يسير في مضمار الخدمة للأدب والفن فحسب؟ أم له مسؤولية هامة تجاه الإنسانية والحياة؟ فيرى عدد منهم أن الفن إنما يكون للفن والأدب للأدب، بينما يرتأي آخرون منهم أنه يلزم أن تخدما الحياة والإنسانية. من هذه الفئة الأخيرة جبران الذي يعتقد أنه يحمل رسالة روحية إنسانية إلى جانب رسالته الوطنية، وأنّ هذه الرسالة شيء أوسع بكثير من أن تحدّه حدود العاطفة القومية؛ لأنه يرى أن للأدب والأديب رسالة سامية، وهي أن يفتحا عيون الناس على الجمال والحق، ويقوداهم إلى ينابيع الحب والحرية (الناعوري، ١٩٧٧م، ص ٣٦١).

على صعيد آخر يجرّب جبران في حياته تجربتين رئيسيّتين تؤثران فيها تأثيراً شديداً، وتلوّنان فكره ومزاجه؛ بحيث تُحدِثان فيهما تغييرات متضاربة، وتقيمان العلاقات الفكرية والروحية بينه وبين الكتّاب والأدباء، وهما تجربتا الحب والغربة (عكاشة، ١٩٩٢، ص ١٦).

إن الحب والمحبة يلعبان دوراً رئيسياً في حياة جبران الشخصية والأدبية منذ أن كان في عنفوان شبابه، وكلما لم ينل آماله في مجال الحب ازداد شوقاً وحبّاً من جانب، وحزناً وأسى من جانب آخر. والمحبة عنده على حد تعبير ميخائيل نعيمة: «**حقيقة تجعل للحياة معنىً شاملاً يتسامى فوق كل المقادير والمقاييس البشرية، وتقيم للإنسان وزناً يضيق به الزمان والمكان**» (جبران، ١٩٩٦م، ص ٢٢). حيث يمكننا القول بأنه ألّف كتاب *النبي* على أساس الحب؛ فلذلك من الضروري أن نعالج وجهات نظر جبران إزاء الحب، بادئين بتعريف المحبة، وذكر ميزاتها من منظوره.

ألف. الحب شريعة الحياة

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل　　فما اختاره مضنى به وله عقل

(البوريني والنابلسي، ب ٢٠٠٧م، ص ٣٧٩)

يمثّل الحب في المنظور الجبراني أمنيّة من أماني البشر، كما هو الحال في الأخوّة الحقيقة، والعدل، والجمال والسعادة؛ إذ إن الحب هو شريعة الحياة. عنده يلتقون، وأمامه يتساوَون، وعن الحب تتفرع جميع مظاهر الحياة. العمل أساسه الحب، وكذلك الألم والدين والحرية والزواج (عكاشة، ١٩٩٢م، ص ٢١).

يرى جبران أن كل شيء في هذا الوجود طريقه المحبة، ولا معنى للوجود وما فيه من مظاهر إلا إذا امتزج بالحب، وهذا الحب هو الذي يسبّب في تعرّف الإنسان على نفسه، ممّا يؤدي إلى تعرّف الإنسان على الله تعالى؛ كما قال النبي ﷺ: «**من عرف نفسه فقد عرف ربه**» (المجلسي، ١٤٠٤ هـ، ص ٣٢). وهذا ما يوصل الإنسان إلى الناس أولاً، فإلى الله أخيراً؛ لأن المحبة عنده هي التي تجعل القلب مستعدّاً لحلول الإلهامات والإشعاعات الإلهية: «**إن الحياة ظلام إلا إذا صاحبَها الحافز، وكل حافز ضرير إلا إذا اقترن بالمعرفة، وكل معرفة هباء إلا إذا رافقها العمل، وكل عمل خواء إلا إذا امتزج بالحب، فإذا امتزج عملك بالحب فقد وصلت نفسك بنفسك وبالناس وبالله**» (جبران، آ ١٩٩٢م، *النبي*، ص ٤٩). ثم يعرّفنا على العمل الممزوج بالحب، ويعلن أن كل عمل الإنسان في الحياة يلزم أن يلازمه الحب، وإلا أجدر بالإنسان أن يتركه: «**العمل حبٌّ تجسّم للعيون. فإذا كنت تعمل وحليفك النور لا الحب، فخيرٌ لك أن تهجرالعمل، فتقعد على باب المعبد تتلقى الصدقات**» (المصدر نفسه).

ب. الحب هو الحياة كلها

إن الغرام هو الحياة فمُت به صبّاً فحقّك أن تموت وتعذرا

(البوريني والنابلسي، آ ٢٠٠٧م، ص ٣٦٨)

إذا عالجنا حياة جبران من بدايتها إلى النهاية، شاهدنا ـ وكما مر ـ تغييرات وتطورات حدثت له في أطوار ثلاثة: طور الأحاسيس والمشاعر؛ حيث كان في عنفوان شبابه، طور العاصفة والطغيان، وأخيراً طور التأمل والحكمة؛ حيث كان في السنوات الأخيرة من عمره عندما تعرّف على الأفكار الصوفية والفلسفية، بما فيها أفكار نيتشه وكتابه *هكذا تكلم زرادشت*. وكتاب *النبي* الذي كان عصارة أفكاره وآماله، ألّفه في أواخر عمره متأثراً بهذه الأفكار.

إن النظرة الجبرانية إلى الحب والمحبة تشبه النظرة الصوفية والعرفانية إليهما؛ حيث ترى الملازمة التامة بين الحياة والحب والإنسان وكل عمل يقوم به الإنسان في حياته. ولابدّ لنا من القول إن هذه النظرة العرفانية عند جبران ليست تعني النظرة العرفانية بالمعنى الإسلامي الدقيق، بل هي نظرة بالمعنى الفلسفي؛ لأن العارف يزكي نفسه، ويطيل التأمل في الكون والوجود لكي يصل إلى الحقيقة المطلقة من طريق الإشراقات القلبية والإلهامات الإلهية، ولكننا نجد إلى حدٍّ الشبه بينهما من الناحية التأملية والنظرية. فنراه يعتقد بادي الرأي أن الحب هو شريعة الحياة، بل هو النصف الملتهب للحياة، لكنه يعود قائلاً إنه هو الحياة كلها.

يتحدث جبران في قطعة «على باب الهيكل» من *العواصف* عن الحب، ويذكر وجهات نظر كل طائفة من الناس تجاهه، وأخيراً يستنتج قائلاً: «**الحياة نصفان؛ نصف متجلّد ونصف ملتهب. فالحب هو النصف الملتهب**» (جبران، ب د. ت، *العواصف*، ص ٣٨٢). ثم يعبّر جبران عن الحب بأنه هو الحياة الحرّة الطليقة، بل هو الوجود في أسماه، وأن مشاكل الوجود ـ أولها وأخرها ومابينها من مراحل التقلب والتطور ـ كلها ترجع إلى أصل واحد يفسّر لنا السرّ المختفي وراء هذا الوجود، وهو الحب (عكاشة، ١٩٩٢م، ص ٢١).

يرى جبران أنه لا يمكن الانفصال بين الحياة والمحبة والجمال؛ لأنها ثلاثة أجزاء من كيان واحد: «**الحياة بغير الحب كشجرة بغير أزهار ولا أثمار. والحب بغير الجمال كأزهار بغير عطر وأثمار بغير بذور... الحياة والحب والجمال ثلاثه أقانيم في ذات واحدة مستقلة مطلقة لا تقبل التغيير ولا الانفصال**» (جبران، ب د. ت، *العواصف*، ص ٤١٥).

ج. الحب مظهر من مظاهر الله

يرى المتصوفة أن العالم مظهر للمحبة الإلهية، وخلق العالم إنما كان ناشئاً عن الحب الإلهي؛ حيث ورد في الحديث القدسي: «**كنتُ كـ أ مخفياً. فأحببت أن أعرف، فخلقتُ الخلق لكي أعرف**» (سجّادي، ١٣٧٢هـ. ش، ص ٩). فنرى جبران يعتقد من منظوره الصوفي والفلسفي أن للمحبة قداسة؛ لأنها مظهر من مظاهر الله. ويتحدث في *العواصف* عن أشباح ثلاثة تمجّد الحب والتّمرّد والحرّيّة كمظاهر لله الذي هو ضمير العالم: «**الحب وما يولده، والتمرد وما يوجده، والحرية وما تنميه ثلاثة مظاهر من مظاهر الله، والله ضمير العالم العاقل**» (جبران، ب د. ت، *العواصف*، ص ٤١٦). ويقول أيضاً: «**إذا أحببتَ، فلا تقل: "لقد وسِعَ قلبي اللهَ"، بل قل: "وسعني قلبُ الله"**» (جبران، آ ١٩٩٢م، *النبي*، ص ٤٥). يقصد أنك إذا أصبحت محباً لأحد أو لشيء، لا تقل: «إن الله في قلبي»، بل يلزم عليك أن تقول: «أنا في قلب الله».

وقداسة المحبّة تؤدّي إلى قداسة القلب؛ لأن الله تعالى يقدّس كل مكان فيه المحبة، وهذا المكان هو قلب المحب: «**بنيت هيكلاً بين أضلُعي للمحبة، فقدّسه الله، ولن تقوى عليه القوات**» (جبران، ب د. ت، ص ٣١)، فيعطي جبران المحبة للقريب طابعاً دينياً؛ حيث يرى أن الإنسان إذا أحب حبيبه، فقد أحبّ الله، والعكس صحيح. فالمحبة الجبرانية ذات بعد ديني من حيث مصدرها وغايتها (أبي فاضل، ١٩٩٢م، ص ٥٨٦).

هذا ويعتقد جبران أن الله بحر المحبة والجمال، والنفس ترجع نهائياً إلى هذا البحر الذي انفصلت عنه أولاً: «**النفس تنفصل عن الروح الأمّ، وتسير في عالم المادة... فترجع إلى حيث كانت: إلى بحر المحبة والجمال، إلى الله**» (جبران، ب د. ت، *دمعة وابتسامة*، ص ٩).

د. الجمال ومعرفة النفس مصدران للحبّ

يعتقد جبران أن المحبة تنشأ عن الجمال، والجمال هو الحياة ومبعث المحبة التي تسيّر الكون. والإنسان يسمو بالمحبة. ويرى أيضا أن المحبة والجمال مصدران للحكمة: «**اقترب قلبي من الحكمة ابنةِ المحبة والجمال**" (المصدر نفسه، ص ٦٦). وأن الحب والجمال متلازمان، حيث يقول: "**إنما سرّ الوجود في الحب والجمال، وسرّ الخلود في ما يزهره الحب وما يثمره الجمال**"(أبي فاضل، ١٩٩٢م، ص ٥٩٢).

وفي الرؤية الجبرانية معرفة النفس هي مصدر الحب، والحب يكتفي بذاته، ولايحتاج إلى شيء غير نفسه، ولايطيق أن يكون مملوكاً، ولا يوجد الحبُّ شيئاً إلّا الحبَّ: «**فالحب لايُعطي إلا ذاتَه، ولا يأخذ إلا من ذاته، والحب لا يملك ولا يملكه أحد. فالحبّ حسبه أنه الحبّ**» (جبران، آ ١٩٩٢م، النبي، ص ٤٥).

هـ. الحب نور يتألّق في عالم النور وحده

يرى جبران أن السعادة والنور يصدران عن المحبة: « **أنا أفكّر بمنزلة المال عند الحب. أفكّر بالمال مصدر شرور الإنسان، وبالحب منبع السعادة والنور**» (جبران، ب د. ت، *دمعة وابتسامة*، ص ٢٦). ويرى أيضاً أن الحب نور يُنتجه نورٌ: «**الحب كلمة من نور خطّتها يدٌ من نور على صفحة من نور**» (جبران، آ ١٩٩٢م، *رمل وزبد*، ص ٧٨).

يشبّه جبران المحبة بثمرة تتفتّح بزوال العالم الأرضي، فيزدهر في عالم النور وحده؛ لأن عالم الحب وحده هو الباقي، ولن يتفتّح كاملاً إلا حين تندثر «المدينة» التي تجسّد هذا العالم الأرضي بأوشابه وصراعاته. ففي عالم النور وحده يتألّق الحب (عكاشة، ١٩٩٢م، ص ٢٩).

و. المحبة هي الحرّيّة الوحيدة في العالم

بما أن للمحبة دوراً رئيسياً في حياة الإنسان وتحريره من كل قيد، لذا يعتقد جبران أن الحرية الوحيدة في العالم هي المحبة ؛ إذ إن الإنسان إذا عاش بالمحبة ومعها وفيها، لايشعر بأي قيد من القيود، ولو كان من أضخم أنواعها. فتتحقق الحياة والإنسانية عند الإنسان بالروح، والروح تحيا وتعيش بالحب والمحبة، ولو كان الإنسان مقيّداً في السجن. يقول: «**المحبة هي الحرّيّة الوحيدة في هذا العالم؛ لأنها ترفع النفس إلى مقام سام لا تبلغه شرائعُ البشر وتقاليدهم، ولا تسود عليه نواميس الطبيعة وأحكامها**» (جبران، آ ١٩٩٢م، *الأجنحة المتكسرة*، ص ١٥١). ثم يرى في المحبة السبيل الوحيد للغناء، قائلاً: «**يقولون إن البلبل يخز صدرَه بشوكة حين يغنّي أغنية الحب، وكذلك نحن جميعاً نفعل. هل من سبيل آخر للغناء؟**» (جبران، آ ١٩٩٢م، *رمل وزبد*، ص ٧٦).

ز. الحب هو الأبديّة نفسها

من مات فيه غراما عاش مرتقيا ما بين أهل الهوي في أرفع الدرجات

(البوريني والنابلسي، ب ٢٠٠٧م، ص٣٧٤)

في الرؤية الجبرانية أن كلا من الأبدية والمحبة تحفظ الأخرى لأن المحبة هي الأبدية نفسها والأبدية هي المحبة نفسها أيضا إذ إنه من المقرر أن يخلد الإنسان ويلتحق بالأبدية، وهذا الخلود والالتحاق بالأبدية لايتحققان إلا بالمحبة فتضمن المحبة للإنسان أبديته وخلوده وعلى صعيد آخر تحفظ الأبدية الحب للإنسان أيضا لأن الحب هو الذي يوصله إلىها وبدونه لايلتحق الإنسان بالأبدية فيقول جبران: «**لاتحفظ الأبدية إلا المحبة لأنها مثلها**» (دمعة وابتسامة، ص ٣١). والأبدية لاتُبقي على غيرالحب لأنها مثلها، فليست الأبدية غير الروح الكلية أو الإله الذي لايمكن أن يكون شيئا سوى المحبة والرحمة. (عكاشة، ص ٢٩). كذلك يعتقد أن الحب نارخالدة تشرق دائما لن تخمد ولا تقل حدتها ولا يحدّها زمان ولا مكان: «**الحب نارخالدة أبدية الإشراق. إنها نفثة الروح الكلية التي يسمو وجودها فوق الزمان والمكان والتاريخ**» (المصدر نفسه).

ح. المحبة هي جزء من الناموس الكلي في العالم

يعتقد جبران أن العالم الذي يتكوّن من أجزاء مختلفة وتسوده الأنظمة البشرية والقوانين الإنسانية، يلزم أن تترابط أجزاؤها برباط وثيق، ويحكم قوانينه وأنظمته قانون شامل يحترمه كل فرد من أبناء البشر. ثم يعرّف لنا هذا الرباط والقانون بأنه هو الحب. فيرى جبران أن المحبة جاذبة كونية ونظام شامل يقوم مقام الأنظمة التي يصنعها البشر، وبالتالي يرى أن الحب هو جزء من القانون العام الحاكم على العالم ؛ فيقول: «**أليست هذه العاطفة (المحبة) التي نخافها ونرتجف لمرورها في صدورنا جزءً من الناموس الكلي الذي يسيّر القمرَ حول الأرض، والأرضَ حول الشمس، والشمسَ وما يحيط بها حول الله؟!**» (جبران، آ ١٩٩٢م، *الأجنحة المتكسرة*، ص ١٥٦).

ومن هذه الرؤية ينطلق إلى أن حقيقته هي اليقظة ؛ لأن العالم إذا كان خاليًا من الحب الذي يمثّل الجزء الرئيسي فيه، فكأنه يغطّ في نوم عميق: «**في سكينة الليل، عندما تُعانق المخلوقاتِ طيفُ الكرى، أسهر مترنّماً تارة، متنهّداً أخرى. ويحي! لقد أتلفني السّهرُ، ولكن أنا محبٌّ وحقيقة الحبّ يقظة**» (جبران، ب د. ت، *دمعة وابتسامة*، ص ٥٣).

ط. المحبة ليست اكتسابية بل هي مبدعة للقلوب

يرى جبران أنه لا يمكن تعليم الآخرين المحبةَ، وكذلك تعلُّمها؛ لأنها ليست أمراً اكتسابياً يكتسبه القلب؛ إذ به يحيا القلب، ويجدّد نشاطه، والقلب يتحقق بظهوره. وبعبارة أخرى، إن الحب هو الذي يبدع القلب ولا عكس: «**وقد حاولتُ ـ وباطلاً حاولت ـ أن أتعلّم محبته، فلم أتعلّم؛ لأن المحبة هي قوة تبتدع قلوبنا، وقلوبُنا لاتقدر أن تبتدعها**» (جبران، آ ١٩٩٢م، الأرواح المتمردة، ص ٩٩).

ي. الحب والمحبوب ثابتان لا يتغيّران

نقّل فؤادك حيث شئتَ من الهوى ... ما الحبُّ الا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يألفه الفتى ... وحنينه أبداً لأوّل منزل

(الخطيب التبريزي، ٢٠٠٧م، ص ٩٩)

إن المحبة في الرؤية الجبرانية تصدر في العالم عن منشإ واحد وهو الله؛ فيلزم أن لا تتغير بحدوث المشاكل والعراقيل بين المتحابّين. والوفاء على الحبّ أمر محتّم عليهما؛ فنرى جبران يعتقد ثبات المحبة وعدم التغيير فيها: «**إذا لم يكن يومُنا هذا قد سدّ حاجاتكم وأشبع حبّي، فموعدنا يوم آخر؛ فإن حاجات الإنسان تتغيّر، ولا يتغيّر حبّه**» (جبران، آ ١٩٩٢م، *النبي*، ص ٦٣). كذلك يرى أن المحبوب ثابت ولا أحد يستطيع أن يُفقد المحبَّ المحبةَ: «**والذي أحببته عندما كنت صبيّاً ما زلت أحبّه الآن، والذي أحبّه الآن سأحبّه إلى نهاية الحياة. فالمحبة هي كل ما أستطيع أن أحصل عليه، ولا يقدر أحد أن يُفقدني إيّاه**» (جبران، ب د. ت، *دمعة وابتسامة*، ص ٨٦).

ك. المحبة غير المتناهية لاتقنع بغير الأبدية والألوهية

تنقسم المحبة في رأي جبران إلى قسمين: محدودة وغير محدودة: أما المحدودة، فتخمد وتنتهي عند لقاء الحبيب، ولكن غير المحدودة تستمر إلى اللانهاية وإلى الأبد. فيدعو إلى المحبة التي لا نهاية فيها بعد اللقاء والوصل، فلا استقرار لها إلا بالاتصال إلى الخلود والأبدية والألوهية حيث لا زوال فيها:

> **إن المحبّة المحدودة تطلب امتلاك المحبوب، أما المحبّة غير المتناهية فلا تطلب غير ذاتها. المحبة التي تجيء بين يقظة الشباب وغفلته تستكفي باللقاء، وتقنع بالوصل، أما المحبة التي تولد في أحضان اللانهاية، فلا تقنع بغير الأبدية، ولا تستكفي بغير الخلود، ولا تقف متهيّبة أمام شيء سوى الألوهية** (جبران، آ ١٩٩٢م، *الأجنحة المتكسرة*، ص ١٧٥).

لذلك يعتقد جبران أن الحب الحقيقي الذي يجدر به أن يسمى حبّاً هو الحب غير المحدود؛ لأنه في رأيه ليس للحب حدود: "**فأيكم لا يحس أن قدرته على الحب لا تعرف الحدود، ولكن أيكم لايشعر أن هذا الحب نفسه، وإن أفلت من الحدود، مضموم في صدور وجوده؟**" (جبران، آ ١٩٩٢م، *النبي*، ص ٥٨)، بينما نرى ابن الفارض الذي يعتقد بالحب الإلهي اللامحدود، يلتذّ من عدم وصال المحبوب ويكفيه الوعد بالوصل من قِبَل المحبوب لكي يزداد شوقاً وحباً فيقول:

إن يكن وصل لديك فعِد به ... أملي وماطِل إن وعدت ولا تفي
فالمطل منك لديّ إن عز الوفا ... يحلو كوصل من حبيب مسعف

(البوريني والنابلسي، آ ٢٠٠٧م، ص ٣٦٥)

ل. لزوم الانقياد للحب

أحباي أنتم، أحسنَ الدهر أم أسا فكونوا كما شئتم أنا ذلك الخل

و تعذيبكم عذبٌ لديّ و جوركم عليّ بما يقضي الهوى لكمُ عدل

(المصدر نفسه: ص ٣٧٩)

إن المحبة تنبع وتجيش في القلب وتفورمنه وتنصبّ فيه، وإنما القلب يصدق المحبَّ في حبه ولا يكذب، ولذلك من الواجب علينا أن لا نظن بالحب ظن السوء؛ إذ إن موطنه ومحياه هو القلب الصادق. فيرى جبران أن الحب لا يقبل الشك، والشك فيه ذنبٌ لا يُغتَفر: «**الشك في الحب إثم يا حبيبتي**» (جبران، ب د. ت، *دمعة وابتسامة*، ص ٢٥). ومن ثم يرى أن الحب لا يكذب، بل هو يقين يخالف الشك: «**ما اجتمع الشك والحب قطّ على صعيد التجاوب**» (جبران، آ ١٩٩٢م، *رمل وزبد*، ص ٧٨)؛ ولذلك في رأيه أن من الواجب تصديق الحب: «**و إذا حدّثكم فصدّقوه**» (جبران، آ ١٩٩٢م، *النبي*، ص ٤٥). ومن هذا المنطلق يعتقد بلزوم الاطمئنان للحب، وإن آذى الإنسان بسيوفه المختفية تحت ثيابه؛ فيرى أن الاطمئنان إلى الحب واجب على كل حال: «**و إذا بسط عليكم جَناحيه، فأسلموا له القياد، وإن جرحكم سيفه المستور بين قوادمه**» (المصدر نفسه).

وبما أن حياة الإنسان من المنظور الصوفي والعرفاني لا معنى له دون الحب والمحبة، وبما أن جبران كان متأثراً بهذه الأفكار، وكذلك قد جرّب بنفسه المحبة والهزيمة فيها مراراً، لذا قد وصل إلى أن السُّبل المؤدية إلى الحب وَعِرة، بينما إذا وصل الإنسان إليه واطمأن إليه، يلزم أن يكون مطيعاً له حتى يؤدي حقه، متيقناً أن الحب لا يجرّ الإنسان إلى الشقاء، بل إلى السعادة والهناء.

ففي الرؤية الجبرانية في الحبّ الرضى والطمأنينةُ المطلقة، فيلزم إطاعته واتباعه: «**إذا أومأ الحب إليكم فاتبعوه، وإن كان وعرالمسالك زلق المنحدَر**» (المصدر نفسه). ويقول في مكان آخر: «**أنا طائع أيها الحب. فماذا تريد؟ قد اتبعتك على سبل نارية، فلذعني اللهيبُ**» (جبران، ب د. ت، دمعة وابتسامة، ص ١٥).

م. لزوم تجدّد الحب يومياً

في الفكر الجبراني، إن كل أمر جميلٍ حسن، وإذا أصبح عادة في حياة الإنسان، يتغير جماله وحسنه بالنسبة إليه ،والحب كذلك أيضاً؛ فلذا يرتأي أن الحب في حياة الإنسان يلزم أن يتجدد يومياً كي يأخذ قواه من جديد صباح كل يوم : «**الحب الذي لا يُضفي على نفسه جديداً كلّ يوم، يستحيل عادة؛ ثم لايلبث أن يكون رقّا**» (جبران، آ ١٩٩٢م، *رمل وزبد*، ص ٧٧)، وطبعاً لا يقصد جبران التغيير في الحب؛ إذ إنه يعتقد بثبات الحب والمحبوب وعدم التغيير فيهما، بل القصد من كلامه تجدد الحب وعهده السابق في كل يوم. ومن جرّاء هذا نرى أن الحب في اعتقاده هو الوحيد الذي يتكلم، ولا يسمع كلامه إلا أتباعه؛ لأن الحب الذي يتجدد دوماً كل يوم يسيطر نفسه على المحب، بحيث لا يرى ولا يسمع شيئاً سواه. فهو القائل: «**ذلك الحب الذي نسمعه متكلماً عندما تخرس ألسنة الحياة، ونراه منتصباً كعمود النور عندما تحجب الظلمةُ كلَّ الأشياء**» (جبران، ب د. ت، *عرائس المروج*، ص ٥٥).

ثم يكتب في مكان آخر: «**إن الذين لم يتخذهم الحب أتباعاً لايسمعون الحب متكلماً. فهذه الحكاية لم تكتب لهم**» (جبران، آ ١٩٩٢م، *الأجنحة المتكسرة*، ص ١٦٣). ومن هذا المنطلق يرى أن الحب يأخذ الأرواح في قبضته، ويحفظها حتى الموت، ويسير بها إلى الله: «**أما الأرواح، فتظلّ في قبضة الحب مستأمنة حتى يجيء الموت، ويسيربها إلى الله**» (جبران، آ ١٩٩٢م، *دمعة وابتسامة*، ص ٦٢)

ونراه في تعبير جميل يتصور للحب موكباً خاصّاً يسير في طريق مفروشة بالأزهار ناشراً السرور والفرح فيما بين أتباعه ؛ حيث لا يمكن لأحد منهم أن يغضّ النظر عن هذا الموكب، فيتبعه حيث ما يتّجه، ويستنشق الهواء المعطر فوق هذا الموكب: «**ها قد سار موكب الحب! فمشى الجمال رافعاً أعلامه، وسارت الشبيبة نافحةً أبواق الفرح. فلا تردَعني يا لائمي، بل دعني أسرِ، فالطريق مفروشة بالورود والرياحين، والهواء قد عطّرته مَجامرالمسك**» (المصدر نفسه، ص ٦١).

ن. الانتصار في الحياة يكون دائماً للمحبة

يتصور جبران معركة عنيفة بين الحب وأتباعه من جهة، وبين أعدائهم من جهة أخرى ؛ حيث يخرج الحب من هذه المعركة مرفوع الرأس منتصراً ؛ إذ إنه لايوجد في العالم شيء يتغلب على الحب الذي له صلة وثيقة بالقلب الإنساني، والذي هو موهبة إلهية وهبها الله تعالى الإنسان للحياة والعيش الرغد: «**قد انتصرت المحبة؛ سواء أكانت المحبة بياضاً ناصعاً أو خضرة زاهية بجانب بُحيرة، أو كانت جلالاً وفخاراً في القباب الرفيعة، أوكانت في بستان حافل بالناس، أو في صحراء لم تطأها قدم الإنسان**» (جبران، ب د.ت، *آلهة الأرض*، ص ٣٩١).

س. للمحبة أشكال مختلفة ولكن مصدرها وتأثيرها واحد

كما هو الملاحَظ في كتابات جبران أنه يعبّر عن المحبة بتعبيرات مختلفة ؛ لأنه يعتقد أن لها صوراً متعددة ذات تداعيات واحدة: «**إن شعلات المحبة يا حبيبتي تهبط من السماء، متموّجة بصور متباينة وأشكال متنوعة، ولكن فعلها وتأثيرها في هذا العالم هو واحد**» (جبران، ب د. ت، *دمعة وابتسامة*، ص ٩١). فمرّة يعبّر عنها بالحكمة والعدل والأمل، وأخرى يعبّر عنها بأنها فجر جديد، ويوم لا يمكن إدراكه، وأيضا هي التي تغير كل شيء كما هو الحال في الموت (فروتن شيرازي، ١٣٨٠هـ. ش، ص ١٣٤)، إلى غير ذلك من التعابير.

وهكذا نرى أن الله والطبيعة والحرية والمحبة والقلب تترابط برباط وثيق حتى تبدو في المنطلق الجبراني بمنزلة أركان دين خاص به، تحيا الأرواحُ في عالمه القائم وراء الوجود، ويتألق الحب بينها بوصفه الركيزة الأساسية في دين جبران، والتي تعيد إلى القلب طُهره الأول (عكاشة، ١٩٩٢م، ص ٢٩).

٢ـ تأثير الحبّ والمحبّة

فإن شئت أن تحيا سعيداً فمت به ... شهيداً وإلا فالغرام له أهل
فمن لم يمت في حبّه لم يعش به ... ودون اجتناء النحل ما جنت النحل

(البوريني والنابلسي، ب ٢٠٠٧م، ص ٣٧٩)

يتطرّق جبران في مواضع كثيرة من آثاره إلى تأثير المحبة في الإنسان والعالم ومايتعلق بهما. فكما أسلفنا في ميزات الحب، إن جبران يسوّي بين الحب وبين الحياة ؛ حيث يعتقد أن الحب هو نفس الحياة. فإذا دخل الحب في أي شيء من الأشياء، أو في أي أمر من الأمور، ينفخ الحياة فيها، ويجعلها حيّاً في اللحظة. فيقول: «**كنتُ بالأمس كلمة صامتة في خاطر الليالي؛ فأصبحت أغنية مفرّحة على ألسن الأيام. وقدتم هذا كلّه في دقيقة واحدة؛ لأنها كانت مملوءة روحاً وطهراً ومحبة**» (جبران، ب د. ت، *دمعة وابتسامة*، ص ١١٢)، ولكن المحبّ الميت عندما تدخل في قلبه المحبة، يصبح توّاقاً إلى المحبوب ؛ فيتألم من عدم إلفائه. فيستمرّ هذا الألم إلى أن يشعر بوجوده في قلبه، فيحيا وجوده الميت بالألم والوجع. فنرى جبران يعتقد أن المحبة تحيي الإنسان بالآلام والأوجاع. فهو القائل: «**البشر يلتصقون بالمادّة الباردة**

كالثلج، وأنا أطلب شعلة المحبة لأضمّها إلى صدري، فتأكل ضلوعي وتبري أحشائي؛ لأني ألفيت المادّة تُميت الإنسان بلا ألم، والمحبة تحييه بالأوجاع» (المصدر نفسه، ص ١١٣).

و عش خالياً فالحبّ راحته عناً فأوله سقم وآخره قتل

(البوريني والنابلسي، ب ٢٠٠٧م، ص ٣٧٩)

و يمكننا القول إن *النبي* وضعه جبران ليعبّر عن إيمانه العميق بالمحبة الشاملة، وقدرتها على أن تشفي الإنسانية من علّاتها، ويعتقدأن الحب يسبّب في وجود المحب. فيقول عن لسان المحب: «**أنا طائع أيها الحب! فماذا تريد؟ لماذا تتخلّى عني وأنت موجدي؟**» (جبران، ب د. ت، *دمعة وابتسامة*، ص ١٥).

و لو نضحوا منها ثرى قبر ميّت لعادت إليه الروح وانتعش الجسم

(البوريني والنابلسي، ب ٢٠٠٧م، ص ٣٨٥)

فيرى جبران أن معنى المحب إنما يظهر بالحب ولا غير، فيتّحد المحب والمحبوب لا يتمايزان بعد نفخ الحياة في المحب من قبل الحبّ. وبما أنه لايتصور فناء للحب، فلذلك لايتصور زوال للمتحابّين؛ حيث يؤدّي الحب إلى بقائهما إلى الأبد. فيرى جبران أن الحب يؤدي إلى الخلود: «**متى مسّت يدُ رجل يدَ امرأة، فقد مسّامعاً قلب الخلود**» (جبران، آ ١٩٩٢م، *رمل وزبد*، ص ٧٧).

وجديرٌ بالذكر أن هذه الحياة التي ينفخها الحب في وجود المحب لا يستحقها من يضَنّ بالحب. فيرى جبران أن الحب يحيي من يعطي الحب، ويميت من يبخَل به: «**المال كالحب. يميت من يبخل به، ويحيي واهبَه**» (المصدر نفسه، ص ٣٦).

فمن لم يَجُد في حبّ نعمٍ بنفسه ولو جاد بالدنيا إليه انتهى البخل

(البوريني والنابلسي، ب ٢٠٠٧م، ص٣٨٠)

في النظرة الجبرانية يُفتح كل قلب مغلق عندما يدقّه الحب. فلمّا يدخل فيه، يصطحب معه الفرح، ويبدّل الحزن فيه سروراً، ويضيء أرجاءه بنوره، وليس كلام المحب إلا بتأثير الحب فيه؛ وكذلك بكاؤه وشكايته وكلّ شيء آخَرَ له: «**أما أنا، فلا أستطيع أن أدعو سِنِي الصِّبا سوى عهد آلام خفيّة خرساءَ كانت تقطُن قلبي ... حتى دخل إليه الحبُّ، وفتح أبوابه، وأنار زواياه. فالحب قد عتق لساني فتكلمت، ومزّق أجفاني فبكيت، وفتح حنجرتي فتنهّدت وشكوتُ**» (جبران، آ ١٩٩٢، *الأجنحة المتكسرة*، ص ١٤٦).

أم تلك ليلى العامريّة أسفرت ليلاً فصيّرتِ المساءَ صباحا

(البوريني والنابلسي، ب ٢٠٠٧م، ص ٣٧٢)

و إن خطرت يوماً على خاطر امرئ أقامت به الأفراحُ وارتحل الهمّ

(المصدر نفسه، ص ٣٨٤)

ونظراً إلى أن للحب قداسة، فإذا دخل في القلب، يجعله مقدساً، ويستعبد النفوس الشريفة والعقول الحرة:

« **قد ملكت قلباً قدّسه الحب، واستعبدت نفساً شرّفها الله، وخلبت عقلاً كان بالأمس حُرّاً. فصار اليوم أسيراً بقيود هذا الغرام**» (جبران، ب د. ت، *دمعة وابتسامة*، ص ١٦).

فانّهامي في الحب حسبي وأني بين قومي أُعدّ من قتلاكا
عبدُ رقٍّ ما رقّ يوماً لعتق لو تخلّيت عنه ما خلاكا

(البوريني والنابلسي، آ ٢٠٠٧م، ص ٣٦٦)

فيعتقد أن الحبّ يخلّص الإنسان من الشوائب، ويجعله خبزاً مقدساً للمائدة الإلهية المقدسة: «**إن الحب يضمّكم إلى أحضانه، كما يضمّ حُزمةَ قمح، فيدرسكم، ثم يغربلكم، ثم يطحنَكم، ثم يعجنكم، ثم يُسلمكم إلى نار هيكله المقدسة، علّ أن تصيروا الخبزَ المقدس لمائدة الربّ المقدسة**» (جبران، آ ١٩٩٢م، النبي، ص ٤٥). فيرى أيضاً أن المحبة تسبّب في أن يتألّه الإنسان، إذا كان خبزاً للآلهة: «**و كما أن حَبة الحنطة الصّمّاء تتحول إلى أنشودة محبة عندما يبتلعها البلبل، هكذا الإنسان إذا كان خبزاً للآلهة يتذوّق الألوهية**» (جبران، ب د. ت، *آلهة الأرض*، ص ٣٧١).

ويرى أيضاً أن الحب يعطي الأجنحة للناس حتى يطيروا إلى السماوات العلى: «**إن الذين لم يَهبْهم الحب أجنحةً، لا يستطيعون أن يطيروا إلى ماوراء الغيوم، ليَرَوا ذلك العالم السِّحريّ**» (جبران، آ ١٩٩٢م، *الأجنحة المتكسرة*، ص ١٦٣). وكذلك يعتقد أن النبات ينضَج بسبب محبة الشمس للطبيعة: « **فقد جاءت أيام الحَصاد، وبلغ الزرع مبلغَه، وأنضجتْه حرارة محبة الشمس للطبيعة**» (جبران، ب د. ت، *دمعة وابتسامة*، ص ١١).

وفي رؤيته تجاه الحب نجد أمراً مزدوجاً في عمل الحب، ألا وهو الارتقاء إلى الأعلى، والنزول إلى الأسفل: «**إن الحب إذا يكلّل هاماتِكم، فكذلك يشدّكم على الصليب، وكما يرتقي إلى أعالي آفاقكم، كذلك ينزل إلى جذوركم العالقة بالأرض، فيهزُّها هزّاً**» (جبران، آ ١٩٩٢م، النبي، ص ٤٥).

و زبدة الكلام أن المحبة في رأي جبران تصل الإنسان بالله، وتسبّب في سموّه واندماجه في الله الحالّ في الكونِ والقائم به الكونُ.

٣ـ مظاهر الحب والمحبة

قد يتبادر إلى الذهن بادئ الرأي أن المحبة الجبرانية تتعلق بالحب بين المتحابَّين فحسب، بينما نرى ـ وكما سبق ـ أن الحب في المنظور الجبراني شامل يتعلق بكل ما له صلة بالإنسان. فمرّة يُفرغ جبران محبته على العالم بأسره والحياة كوحدة متماسكة لا تتجزّأ، و مرة أخرى يتحدث عن حبه للإنسان والإنسانية كظاهرة رئيسية في الكون، وأخرى نرى الحنين إلى الوطن يجيش في كلامه ومن عمق وجوده، وتارة يتعلق حبّه بالطبيعة وحياة الفطرة بما فيها من سذاجة وطهارة، وأخيراً يتحدث جبران عن المحبة بين الحبيبَين كمشهد أساسي لتمثيل الحب فيه.

ألف. الحب للحياة ولكل العالم والوجود

من الرؤية الرومانطيقية أن القلب الإنساني يتّسع للحب المطلق لكل العالم، ولمطلق الوجود وللحياة، ولم لا؟ والقلب قد خلق كي يحب الكون بأجمعه، إن لم يكن منسوخاً من فطرته. فجبران يخبرنا أنه يحب أشياء كثيرة في العالم؛ منها الموت والحياة والحرّيّة والسعادة والناس والوجود: «**قد أحببتُ الموت مرّات عديدةً. فإنني صرت أحب الحياة أيضاً. فالموت والحياة قد تساويا عندي بالجمال، وقدأحببت الحرية والسعادة والناس**» (جبران، ب د. ت، *دمعة وابتسامة*، ص ٨٧).

يرى جبران أن الحياة تظهر في صورة العزيمة يومَ يكون الإنسان في أيام شبابه، و في صورة الجدّية عندما يصل إلى الكهولة، وتتبدّل أخيراً إلى الحكمة أيام شيخوخة الإنسان. فيعرّف جبران الحياة بأنها «**عزم يرافق الشبيبةَ، وجدّ يلاحق الكهولة، وحكمة تتبع الشيخوخة**» (جبران، ب د. ت، *العواصف*، ص ٣٩٢)؛ ومن ثم يعرّف نفسه من المنتمين إلى حزب الحياة: «**لو شئتم تسميتي بشيء، فقولوا إنني من حزب الحياة**» (عكاشة، ١٩٩٢م، ص ١٧).

ويتحدث في *العواصف* عن مواقف في حب امرأة، وأخيراً تنكشف حقيقة هذه المرأة، وإذا هي الحياة في مظاهرها الفاتنة الكاذبة: «**أما اسم المرأة التي أحَبّها قلبي فهو الحياة**» (ب د. ت، ص ٣٨٩).

وفي رأيه أنه لابدّ من أن تسود المحبة المجتمعَ الإنسانيَّ الأمثل، ومن تصوير الحياة بصورة محبوبة للنفوس؛ لأن العالم خُلق من الرؤية الصوفية الفلسفية على أساس الحبّ، ليتعالى الإنسان ويتكامل فيه. ويتم هذا كله بالمحبة؛ فلابد أن تكون المحبة محبة صحيحة لكل ما في الوجود، بغير تفضيل أو تفريق. وهكذا يحبّ جبران العالم بكل ما فيه من إخلاص «الإنسان»، وحنين «الشاعر»، وحيوية «الفنّان». وهي الصفات الثلاث التي يتكوّن منها جبران (الناعوري، ١٩٧٧م، ص ٣٥٧).

ب. حب الإنسانية والناس

إن الإنسان في المنظور الجبراني محور العالم والوجود ويتمحوران عليه. فطبيعي أن يشكل جزءً رئيسياً من المحبة الجبرانية. فنري أن الإنسانية هي التي ترشد جبران في كتاباته، وترتبط روحه بالإنسانية عن طريق المحبة. يعرّف جبران الإنسانية بأنها «**نهر بلّوريٌّ يسير متدفّقاً مترنّماً حاملاً أسرارالجبال إلى أعماق البحر**» (جبران، ب د. ت، العواصف، ص ٨٧). ويحب الناس حبّاً جمّاً، بينما يقسمهم إلى ثلاثة: « **واحد يلعن الحياة، وواحد يباركها، وواحد يتأمّل بها. فقد أحببت الأول لتعاسته، والثانيَ لسماحته، والثالث لمداركه**» (جبران، ب د. ت، *دمعة وابتسامة*، ص ٨٧).

إن محبة جبران للناس محبةٌ من أجل المحبة نفسها، لا لغرض مادي آخر؛ لأن جبران يعتقد أن الحب قانون الحياة، وبدونه لايتحقق مفهوم الإنسان والإنسانية. فيلزم أن يصفوَ الحب، ويتخلّص من الشوائب. فهو يحاول بكتابه *النبي* أن يعرّف لنا صورة صحيحة للإنسان الكامل، وبهذا المعيار يقوّم عمله. وهوالمعتقد أن الإنسان كائن سماوي الجمال والحساسية، لا يحمل جسده آثار تراب الأرض، بل روحاً شفافة علوية (عكاشة، ١٩٩٢م، ص ٢٣). فنرى جبران كإنسان، يفيض محبته على جميع أبناء البشر دون أن يهمّه دينهم أو جنسهم أو بلادهم؛ لأنه يعتقد أن الإنسانية والأخوّة قد توّزعت فيما بينهم على السواء. وعلى حد تعبير الناعوري (١٩٧٧م): «**كان جبران«شاعراً» يرسم بدم القلب، ويكتب بعصير الروح، ليغنّي بأفراح الإنسانية، ويبكي بأوجاعها. وكان «فنّاناً» يعبّر بالخطوط عن نوازع النفس البشرية، ويصوّر آلام الإنسانية وآمالها. وقد سخّر كل مواهبه العالية لقيادة البشرية إلى الجمال والخير والحق، وإلى الحب والسعادة والحرية**" (ص ٣٥٦).

وفي النص التالي دلالة واضحة على شدة محبة جبران لجميع فئات الناس: «**لقد أحببتكم كثيراً وفوق الكثير. أجل، قد أحببتكم جميعاً؛ جبّاركم وصُعلوككم، أبرَصكم وصحيحكم، وأحببتُ من يتلمّس منكم سبيله في الظلام**» (جبران، ب د. ت، *السابق*، ٧٤).

يريد جبران في كتاباته إنقاذ الإنسان من أعدائه المخفيّة في ذاته؛ إذ الإنسان يلزم أن يتعالى حتى يصل إلى الله، بينما تحول المشاكل والعراقيل دون وصوله إلى هذا الهدف المنشود. فنراه يحب الناس كثيراً، بحيث يمكننا القول: إن تمرّده وثورته أيضاً كانا ناتجَين عن هذا الحب. وفي رأيه يكون الحب للجميع طريقاً لإدراك كنه الحقيقة؛ لأنه يعتبر الله والكون والإنسان كوناً واحداً؛ وكما تقول ربيعة أبوفاضل (١٩٩٢م): «**هذا الكيان الواحد المتماسك يُلزم الإنسان بالتزامات كيانيّة إزاء العالم، والمحبة هي التي تحقق هذه الالتزامات**» (ص٥٨٣).

ج. حب الوطن

إن أدباء المهجر تركوا أوطانهم باحثين عن عيش جديد رغَد، ولكنهم بقَوا على حبهم لها؛ حيث يظهرون هذا الحب في كتاباتهم بين الفينة والأخرى. فنرى أن الوطنيات تتلألأ في كتاباتهم كموضوع محبَّب إليهم، ولا غرو في ذلك؛ لأنهم كمجموعة من الناس يعيشون في الغربة لا يمكنهم السُّلوان عنه؛ فنرى أن الحنين إلى الوطن في ازدياد لديهم.

وجبران كواحد من المهجريّين أحبّ وطنه لبنان، وقريته الصغيرة بشري ؛ إذ كان فيها ميلاده، وتفتّحت عبقريته ؛ لذلك ـ و على حدّ تعبير نُعيمة ـ :

كانت كل بواكيره من وحي لبنان، فمن *الموسيقى إلى عرائس المروج إلى الأرواح المتمرّدة إلى الأجنحة المتكسرة* يَمضي جبران يعرض عليك صوراً لبنانية ووجوهاً لبنانية وأصواتاً لبنانية. ثم ينصرف عن موطنه الأصغر إلى موطنه الأكبر ـ إلى العالم ـ، ولكنه يعود بك بين الحين والحين إلى لبنان (جبران، ١٩٩٦م، ص ١٨).

إن الوطنيات في النظرة الجبرانية تمرّ بثلاث مراحل : مرحلة تبيينه لحبّ أبناء وطنه طالباً لهم الفوز والفلاح، فمرحلة إظهار كرهه لهم نظراً لضعفهم وبقائهم على الماضي، ثم المرحلة الجديدة للحب لهم محاولاً إنقاذهم من أسباب التخلف. فنرى أن رؤية جبران لواقع قومه تصفو، ويَعظُم حبّه لهم، ويتقدّم رائداً لهم مُصلحاً يريد لهم الخير والسعادة، مخلِصاً في ريادته، لكنه صديق الناس وعدوُّهم في وقت واحد. فينصح أبناء أمّه للفلاح والفوز حبّاً لهم، ولكنه يعترض عليهم بسبب عدم سَماعهم لنصحه : «**قلت لكم تعالوا نصعد إلى قمّة الجبل لأريكم ممالك العالم، فأجبتم قائلين: في أعماق هذا الوادي عاش آباؤنا وجدودنا، وفي ظلاله ماتوا، وفي كهوفه قبروا. فكيف نتركه ونذهب إلى حيث لم يذهبوا؟!** » (جبران، ب د. ت، *العواصف*، ص ٣٩٠).

يقوى الحنين إلى الوطن في *العواصف*، ويُشعّ إخلاصاً وإيثاراً، ويقطر لوعةً وولهاً. ففي نص «يا بني أمّي» يظهر جبران محبّاً لقومه، ينصحهم، يريد لهم الخير، ولكنه يتغير من موقف المحبّ المتفائل إلى ما قد يشبه اليأسَ : «**لقد كنتُ أحبّكم يا بني أمّي، وقد أضرّ بي الحبُّ، ولم ينفعكم، واليوم صرت أكرهكم ...كنت أشفق على ضعفكم، والشفقة تُكثرالضعفاءَ، واليوم صرت أرى ضعفكم، فترتعش نفسي اشمئزازاً، وتنقبض ازدراءً**» (المصدر نفسه، ص ٣٩١). فنرى جبران يحذّر أبناء وطنه من الضعف والذّلّ، ويريد لهم القوّة والعزّة، وهذا يرجع إلى عقيدته في الوجود، وهي أن الإنسان يلزم أن يتكامل ويتألّه ويَخلُد، و هذه أمور لا يتحقّق بالضّعف والهَوان.

ثم يستمر في لوم قومه : «**أنا أكرَهُكم يا بني أمّي؛ لأنكم تكرهون المجدَ والعظمةَ. أنا أحتقركم؛ لأنكم تحتقرون نفوسكم. أنا عدوّكم؛ لأنكم أعداء الآلهة، ولكنكم لا تعلمون**» (السابق، ص ٣٩٢).

وأخيرا تستبدّ به نزعته الوطنية، فيرجع من حيث خرج ؛ فيُعلن ويستخلص حبَّه لوطنه ولأبناء قومه، رغم كل ما لامهم عليه، بينما تجعله على أُهبة الاستعداد للثورة عليهم وعلى ضعفهم، إن لم يستمعوا إلى نُصحه للتّقدّم والتّطوّر : «**لابأس في ذلك، فإني سأحبّهم أكثر فأكثر، ولكني سوف أسدِل على محبتي ستاراً من البغض، وأستر عواطفي بشديد كرهي، وسأتبرقع ببرقع من حديد . ولا أسعى وراءهم إلّا مسلّحاً مدرّعاً**» (السابق، ص ٧٦).

د. حب الطبيعة وحياة الفطرة

إن الفطرة في رأي جبران فطرة سليمة من كل غشّ وشائبة ،والإنسان إذا رجع إليها وعاش معها، يَسعَد ويفلح في الحياة، والطبيعة مظهر من مظاهر الفطرة الإلهية التي تُرينا الطَّهارة والنَّقاوة. فنرى جبران ـ كسائر أدباء المهجر ـ يدعو الناس إلى حياتهم الطبيعية والفطرية، فيصوّر الخيرات والإيجابيات في الحياة الإنسانية في صورة من الصور الطبيعية، ويجعل من الطبيعة رمزاً لما يتعلق بالإنسان. فلذلك نراه عميق الإحساس بها، شديد الحب لها وقوي الاتصال بها. فيرى في كل ما فيها أشياءَ محبوبة ومكروهة، ويستلهم أفكاره منالطبيعة، وبراءة النفس البشرية، ومثالية الوجود الإلهي، ويؤمن بأن الفن هو تفهّم الطبيعة.

و في رأيه تظهر الكائنات الحيّة في روح الحب النابعة من جميع المحسوسات والمرئيات التي ترتبط بالطبيعة برباط الأمومة :

«كل شيء في الطبيعة يرمز ويتكلم عن الأمومة. فالشمس هي أمّ الأرض، وهذه الأرض هي أمّ الأشجار والأزهار... وأمّ كل شيء في الكون هي الروح الكلّيّة الأزليّة الأبديّة المترَعة بالجمال والمحبّة» (عكاشة، ١٩٩٢م، ص ٢٨).

إن الفلسفة الجبرانيّة في الحياة تقوم على المحبة. فيرتأي أنها تنتشر في جميع مظاهر الكون بما فيها الطبيعة، فيرى أن البحر محبوب للجداول، والنور معشوق للأزهار، والغيوم مرادة للوادي: **«الجداول تسير إلى حبيبها البحر، والأزهار تبتسم لعشيقها النور، والغيوم تهبط نحوَ مريدها الوادي»** (جبران، ب د. ت، *دمعة وابتسامة*، ص ١٦).

إن الحنين إلى الغابة هو التعبير الصادق عن رجاء السعادة في نفس كل إنسان. فالغابة عند المهجريّين رمز البساطة والجمال. ترى الدكتورة سلمى الخضراء (٢٠٠٧م) **«أن رموز جبران تنبع من مصادر رومانسية، فالغابة رمز للبساطة وللحب الأشمل، والبحر لديه رمز الخلود ووحدة الوجود، والليل يرمز أحياناً إلى غوص جبران في أغوارالذات»** (ص ١٤٤).

في اعتقاد جبران كلُّ ما في الطبيعة حيّ يتكلم مع الإنسان، فيلزم أن نستلهم منها: **«تكلمت الطبيعة بألسنة السواقي، وابتسمت بشفاه الأزهار»** وأيضاً:

في سكون الليل لما تنثنى يقظة الإنسان من خلف الحجاب

يصرخ الغاب...
ويقول الصخر...
وتقول الريح...
ويقول النهر...
ويقول الطود...

(جبران، ب د. ت، *البدائع والطرائف*، ص ٦٠٦)

ويقول نعيمة:

ولم نخطئ إذا قلنا: إن أحبّ الناس إلى جبران هو ابن الفطرة والطبيعة؛ سواء كان راعيَ أبقار أو حارثاً أو عاملاً. ولعل أبغض الناس إليه هم الذين يظلمون أبناء الفطرة والطبيعة. فهو لم يتحدث في كتاباته عن راع قبيح أو فلاح خسيس أو عامل شرير (جبران، ١٩٩٦م، ص ١٥).

هـ. الحب بين الحبيبين

يستطرد جبران في مواضع كثيرة من مؤلّفاته، ولاسيما *دمعة وابتسامة* إلى موضوع المحبة بين المتحابَّين، ويتحدّث كثيراً عن هذا الموضوع. فينظر إليها في أيام شبابه من منظور مادّيّ، كما ينظر إليها كل شابّ؛ ثم ينزّه الحب من كل الشوائب ويقدّسه، ويتكلم عنه من رؤية فلسفية بعد ما تكوّنت شخصيته الفكرية والتأمّليّة في أواخرعمره. فيرى أن المحبة بين الحبيبين وليدة التفاهم الروحي، وإن لم يتحقق بلحظة واحدة، لا يتحقق بجيل: **«الجمال الحقيقي هو تفاهم كلّيّ بين الرجل والمرأة يتمّ بلحظة، وبلحظة يولَد ذلك الميل المترفّع عن جميع الأميال، ذلك الانعطاف الروحي الذي ندعوه حبّاً»** (المصدر نفسه، ص ١٥٠).

وفي اعتقاده أن الله يجمع بين المحب والحبيب قبل ولادتهما، فيستفهم في أسلوب إنكاري: **«هل هي (المحبة) هذه الساعة التي أوقفتْنا في قدس أقداس الحياة؟ أماجمعتْ روحَينا قبضةُ الله قبل أن تُصيِّرَنا الولادةُ أسيري الأيام والليالي؟»** (جبران، آ ١٩٩٢م، *الأجنحة المتكسّرة*، ص ١٥٦).

شربنا على ذكر الحبيب مُدامة سكرنا بها قبل أن يُخلق الكَرمُ

(البوريني والنابلسي، ب ٢٠٠٧م، ص ٣٨٤)

و قد يعزو هذا الجمعَ إلى الحب نفسه ؛ لأنه يعتقد أن الحب مظهر من مظاهر الله، فيرى أن الحب يجمع بين المتحابَّين، ولا شيء ولا أحد يستطيع التفريق بينهما : «**قد جمعَنا الحبُّ، فمن يُفرّقنا؟ وأخذَنا الموتُ، فمن يُرجعنا؟**» (جبران، ب د. ت، *دمعة وابتسامة*، ص ١٧).

و يعبّر عن الزواج بأنه اندماج كائنَين إلهيَّين لخلق ألوهية أخرى : «**القِران هو اتحاد ألوهيّتين على إيجاد ألوهيّة ثالثة على الأرض**» (المصدر نفسه، ص ٦٥).

يرى جبران أن المحب والمحبوب كلاهما نصفٌ للآخرَ ومكمل له ؛ إذ هما نصفان من جسد واحد : «**سامِحيني يا حبيبتي، فقد ناجيتُك بضمير المخاطب، وأنت نصفي الجميلُ الذي فقدتُه عندما خرجنا من يدالله في آن واحد**» (السابق، ص ٨١).

ويرى أن الموت ينصرف عن المتحابَّين من أجل الحبّ، والعدو ينهزم أمام الحبّ ؛ لأن المحبّة في رأيه تعني الحياة والتعالي والخلود والأبدية، حيث إذا تحققت، يفرّ الفناء والزوال من أمامها. ولأن الحبيب من أبناء المحبة ؛ ولذا يطلب من المحبة أن تتغلّب على عدوها وهو الحرب : «**تغلّبي أيتها المحبة على عدوتك الحرب، وخلّصي حبيبي، فهو من أبنائك**» (السابق، ص ٨٣). ثم استجاب الله هذا الدعاء لقداسة الحبّ، فرجع الفتى الحبيب من الحرب سالماً وقال : «**لاتعجبي من إيابي حيّاً. فللحبّ وسمٌ يراه الموتُ، فينصرف؛ ويتوسّمه العدو، فيتقهقر**» (المصدر نفسه).

وكذلك نجد في المنظور الجبراني آمال المحب وأمانيه وأفراحه وابتساماته تختم بالحبيب، فتزول مع موته وتدفن معه في قبر واحد : «**هاهنا دُفنتْ آمال ذلك الفتى. هاهنا توارتْ أمانيه، وانزوتْ أفراحه، وغارتْ دموعه، واضمحلّتْ ابتساماته... و فوق هذا القبر تُرفرف روحُه كلَّ ليلة**» (جبران، آ ١٩٩٢م، *الأجنحة المتكسرة*، ص ١٤٥).

ومن منطلقه أن المحبوب حوّاء قلب المحب، ولكن هناك فرقا بين الحوّاءين : فهذه تُدخل المحب في الجنة، بينما تخرجه تلك منها : «**فسلمى كرامة هي حوّاء هذا القلب. هي التي أفهمته كنه هذا الوجود. حواء الأولى أخرجت آدم من الفردوس بإرادتها وانقياده؛ أما سلمى كرامة، أدخلتني إلى جنّة الحب والطّهر بحلاوتها واستعدادي**» (المصدر نفسه).

و في رؤية جبران لا مكن لقاء المحبوب إلا في الأبدية : «**و أنت ... أيتها الحوريّةُ التي لا أطمع بلقائها إلا في الأبديّة؛ حيث المساواة ... قد ملكتِ قلباً قدّسه الحبُّ**» (جبران، ب د. ت، *دمعة وابتسامة*، ص ١٦). هذا الرأي عنده ناتج عن عقيدته بأن وجود الحبيب وظهوره في عالم الواقع صعب جدّاً، ويكاد يكون متعذّراً لمقام الحب الرفيع : «**لكل رجل محبوبتان؛ إحداهما من نسيج خياله، والأخرى لمّا تولد**» (جبران، آ ١٩٩٢م، *رمل وزبد*، ص ٧٧).

ولأجل هذا يرى أن حقيقة المرأة لا تدرك من وراء نقاب الشهوات، أو تحت مكبّرات الكره ؛ لأنها حقيقة معقدة، وفهم هذه الحقيقة لا يمكن إلا بالمحبّة، ومسّها لا يمكن إلا بالطّهر، ولا يمكن وصفها بالكلام : «**إن المرأة التي تمنحها الآلهةُ جمالَ النفس مشفوعاً بجمال الجسد هي حقيقة ظاهرة غامضة، نفهمها بالمحبّة ونلمسها بالطّهر، وعندما نحاول وصفها بالكلام، تختفي عن بصائرنا وراء ضباب الحيرة والالتباس**» (جبران، آ ١٩٩٢م، *الأجنحة المتكسرة*، ص ١٥١).

و عندما يتفتّح الحب في قلب الإنسان، يشاهد المحبّ الملائكة والشياطينَ في محاسن الحياة ومكروهاتها ؛ لأنه إذا فكّك أحدٌ عُرَى المحبة بين الحبيبين، فهو يذكّرنا صورة إبليس من الأباليس. وكذلك إذا حاول في أن يكون همزة وصل بينهما، فيذكّرنا ملائكة

السماء مسرورة: «**في تلك السنة شاهدت ملائكة السماء تنظر إليّ من وراء أجفان امرأة جميلة. وفيها رأيت أبالسةَ الجحيم يضجّون ويتراكضون في صدر رجل مجرم**» (المصدر نفسه، ص ١٤٧).

النتيجة

نظراً إلى الأحداث والتغييرات التي طرأت في حياة جبران ـ والتي ساقته من الحزن إلى الفرح، ومن السلبيات إلى الإيجابيات ـ نراه في بداية حياته ينظر إلى الحبّ من منظور مادي؛ حيث كان في عنفوان شبابه. ثم يدخل فيه من منظور فلسفي تأملي. فيرى أن المحبة أعلى وأقوى من كل القوانين والشرائع، وهي شاملة تمثّل كل شيء، فبنى عليها مدينته الفاضلة؛ أي كتاب *النبي*.

يزول كل شيء في العالم إلا الحب. فشريعة الحب هي وحدها باقية. والمحبة تربط بين أجزاء العالم، وبها تقوم وحدته وكيانه. يدعو جبران كل إنسان إلى القيام بعمله بروح المحبة، ويجعل معرفة النفس بداية للمحبة والحرية؛ إذ إن معرفة النفس تؤدي إلى معرفة الله، ومعرفة الله تؤدي إلى المحبة، والحب مظهر من مظاهره تعالى؛ ولأجل هذا يطلب من الإنسان أن يعرف نفسه قبل كل شيء، للوصول إلى المحبة والحرّيّة.

وهو ينادي إلى المحبة غير المتناهية التي توصل الإنسان إلى الله؛ لأن المحبة المحدودة تنتهي بلقاء المحبوب، وهذا ما يدّعيه الصوفية؛ لأن جبران كان متأثراً بأفكارهم ومعتقداتهم، حيث يرون أن القلب الإنساني يلزم أن يتخلّى من كل ما يحول دون التّجلّيات الإلهية. فمن الواجب على الإنسان أن يوجّه محبته إلى الله .

والحبّ في الرؤية الجبرانية إنما ينشد الكشف عن أسرار الحب نفسه، وإلا يكون فخّاً لا يصطاد إلا الأشياءَ الفاسدة؛ لأن الحب الحقيقي هو الذي يجعل الإنسان يسير في الطريق إلى الله، وهذا مما يخفى على كثير من الناس الذين يقطعون سبيل الحب، فيضلّون الطريقَ.

وكذلك يهدف الحب إلى تعرّف الناس أسرار قلوبهم حتى يصيروا جزءً رئيسياً في الوجود. ثم إنه يعتزم على أن يوصل الإنسان إلى الغابة المقدسة، ليترنم بأناشيد أسرارها في آذان الأبدية؛ لأن المحبة من الرؤية الجبرانية هي الأبدية نفسُها. فيلزم عليها إيصال الآخرين إلى هذه الغابة المقدسة. وهكذا كان جبران رسول المحبة والسلام فيما بين الناس.

المصادر والمراجع

أ) العربية

• القرآن الكريم.

١ـ أبي فاضل، ربيعة بديع. (١٩٩٢م). ***الفكر الديني في الأدب المهجري***. (ج ٢). (ط ١). بيروت: دارالجيل.

٢ـ البوريني، الحسن بن محمد؛ والنابلسي، عبدالغني بن إسماعيل. (آ ٢٠٠٧م). ***شرح ديوان ابن الفارض***. (ج ١). (ط ٢). بيروت: دار الكتب العلمية.

٣ـ ــــــــــــ . (ب ٢٠٠٧م). ***شرح ديوان ابن الفارض***. (ج ٢). (ط ٢). بيروت: دار الكتب العلمية.

٤ـ سراج، نادرة جميل. (١٩٦٤م). ***شعراء الرابطة القلمية***. القاهرة: دار المعارف.

٥ـ جبران، جبران خليل. (آ ١٩٩٢م). ***صفوة المؤلفات الكاملة (النبي، الأرواح المتمرّدة، رمل وزبد، الأجنحة المتكسّرة)***. (ط ١). القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر.

٦ـ ـــــــــــــــ. (ب د. ت). ***المجموعة الكاملة للمؤلفات (آلهة الأرض، السابق، البدائع والطرائف، عرائس المروج، العواصف، دمعة وابتسامة)***. (تعريب أنطونيوس بشير). بيروت: دار الجيل

٧ـ ـــــــــــــــ. (ج ١٩٩٦م). ***المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران***. (تحقيق ومقدمة ميخائيل نعيمة). (ج ١). (ط ٣). بيروت: دار صادر.

٨ـ حطيط، كاظم. (١٩٨٧م). ***أعلام وروّاد في الأدب العربي***. بيروت: الشركة العالمية للكتاب.

٩ـ الخضراء الجيوسي، سلمى. (٢٠٠٧م). ***الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث***. (ترجمة عبدالواحد لؤلؤة). (ط ١). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

١٠ـ الخطيب التبريزي، يحيى بن علي. (٢٠٠٧م). ***شرح ديوان أبي تمّام***. (قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه راجي الأسمر). بيروت: دار الكتاب العربي.

١١ـ عكاشة، ثروت. (١٩٩٢م). ***صفوة المؤلفات الكاملة لجبران***. (ط ١). القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر.

١٢ـ الفاخوري، حنّا. (١٩٨٦م). ***الجامع في تاريخ الأدب العربي***. (ج ٢). (ط ١). بيروت: دار الجيل.

١٣ـ المجلسي، محمدباقر بن محمدتقي. (١٤٠٤هـ). ***بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار***. (ج ٢). بيروت: مؤسسة الوفاء.

١٤ـ الناعوري، عيسى. (١٩٧٧م). ***أدب المهجر***. القاهرة: دار المعارف.

ب) الفارسية

١٥ـ فروتن شيرازى، سوسن. (١٣٨٠هـ. ش). ***عرفان در انديشه جبران***. چاپ اول. تهران: نشر به ديد.

١٦ـ سجادي، سيد ضياءالدين. (١٣٧٢هـ. ش). ***مقدمه اي بر مباني عرفان وتصوف***. چاپ اول. تهران: سمت.